المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والتسعين

١ يوليو سنة ١٩٤١ — ٩ جماد الثاني سنة ١٣٦٠

هذه الحرب العظيمة

بين الحرب الحاضرة والحرب العظمى الماضية وجوه شبه ووجوه خلاف

أما وجوه الشبه فأهمها انقسام القارة الأوربية الى معسكرين احدهما ترأسهُ المانيا والآخر ترأسهُ بريطانيا وانضمام الولايات المتحدة الأميركية الى احد المعسكرين ونصرتها لهُ على المعسكر الآخر وامتداد نار القتال الى القارة الأفريقية والقارة الأسيوية وقيام حرب الغواصات في الحربين وما حدث في هذه الحرب من خذل فرنسا لحلفائها على نحو ما صنعت روسيا في الحرب الماضية واتفاق المانيا مع الدولة الخاذلة في الحالين

أمددت وجوه الشبه فهل تشمل نتيجة هذه الحرب فتكون كنتيجة الحرب الأخرى

أما وجوه الخلاف فكثيرة العدد وفي مقدمتها زيادة اشتراك الشعوب في الصراع اشتراكاً تجلى في الحرب الماضية ولكنه لم يبلغ المبلغ الذي بلغه في هذه الحرب . فالشعوب فيها تكاد تكون كأنها في ميدان النزاع والقتال . وحسبالمرء ان يشير الى عدد القتلى والجرحى المدنيين في البلاد البريطانية فقد جاوز عدد القتلى من سكان المدن والقرى ستين الفاً في أقل من عام ولم يسمع بمثل هذا في الحرب الماضية في بلاد بعيدة عن حومة الوغى كالجزر البريطانية

ومن أهم وجوه الخلاف مقام الطيران في الحربين فقد كان للطيران شيء من الشأن في

الجانب الاخير من الحرب الماضية . أما في الحرب الحاضرة فقد صار له مقام خاص جعله أسمى الأسلحة الثلاثة

وبيناف الى الطيران الاكتار من استعمال الآلات الأرضية لتحل محل الفرسان والجند وتدفع بقوة الزيت مما أفضى الى تبدل عظيم في الحرب فقلَّ التحام الجند وصار التنافس والتناحر لآلات الحديد والفولاذ

ففضي بذلك على حرب الخنادق وحل محلها الحرب الخاطفة المرموز لها بالطائرات والدبابات والسيارات المدرعة

فالأمة التي تكثر آلات الحرب والجلاد فيها تكفل الفوز ولا سيما اذا أعدَّت من الرجال من يحسن استعمال هذه الآلات

ومن الفروق التي لها شأن خطير ما تريده الدولة الألمانية من تحويل اوربا أولاً وسائر اقطار العالم بعدها في اتجاه خاص سموه النظام الجديد وقال عنه خصومه في وصفه انه قسمة الخلق الى قسمين فقسمٌ سيد وقسمٌ مسود . وقد أنشأ الالمان بهذا النظام في نفوس انصاره والمؤمنين به حمية تشبه حمية أنصار كل دين جديد فتراهم يلقون أنفسهم في حضن الموت غير مبالين بما يصيبهم ما داموا مجاهدون في سبيل ادراك الغاية العظمى التي وضعها قادتهم وجعلوها هدفاً لجهودهم وهو ما يضاف الى شهوة الفتح وحب التملك وهما اللذان كانا رائد المعتدي في الحرب الماضية ولا يزالان كذلك في هذه الحرب

يقابل هذا النشاط ما هو مشهود في موقف الفريق الآخر من التزم الصادق على صون قواعد العقائد الاجتماعية والسياسية التي يدين بها وتصميمه على الدفاع عنها الى النهاية

ويطول بنا المقام اذا حاولنا استيفاء جميع وجوه الشبه وجميع وجوه الخلاف في هذا الصراع بين ما حدث في الماضي غير البعيد وما هو حادث الآن

***

ويحار المرء في العوامل التي أوصلت العالم ولا سيما أوربا الى الموقف الحالي بعد الحرب الماضية وبعد عقد معاهدات الصلح وانشاء جامعة الأمم

فقد عمدت المانيا من نحو عشرة أعوام الى التسلح الكثير بمرأى ومسمع من الدول التي

فورتها في الحرب الماضية وهي بين الدول التي شهدت مثل هذا الامر في عصر نابليون فانه بعد ما قهر روسيا وجرّدها من سلاحها حظر عليها تأليف جيش مسلح فلم تفتأ الأمة الروسية تنشيء جمعيات الألعاب الرياضية للشبان وتستر وراءها لاعداد جيش حتى كان لها ما شاءت وقاتل جيش بلوخر البروسي الى جنب جيش ولنتن البريطاني في معركة ووترلو التاريخية التي أفل فيها كوكب سعد نابليون

ومثل هذا جرى في الحقبة الاخيرة بعد صلح باريس فقد عمدت المانيا الى السلاح وكانت تصنع السلاح الجديد الكثير في الحين الذي كان فيه المستر هندرسن الوزير الاشتراكي البريطاني يرأس ما سموه مؤتمر نزع السلاح

ولا يسع الدول التي تحارب المانيا اليوم أن تزعم أنّ ما كانت المانيا تصنعه من هذا القبيل كان عليه محجوباً عنها فأمامنا ونحن نكتب هذه السطور مقال للمستر وستن تشرتشل نشرت ترجمته في المقطم في سنة ١٩٣٥ وفيه ينبه هذا القطب السياسي العظيم قومه وحلفاءهم الى الخطر الذي يعد لهم وراء نهر الرين ليدهمهم في المستقبل غير البعيد

وما برح المستر تشرتشل يقرع أسماع قومه بمثل هذه الاقوال وخصومه السياسيون يحاولون ايكاته بدعوى أنه يهيج الخواطر بغير مسوغ الى ان وقعت الواقعة وجاءت الحوادث مؤيدة لما أنذر به

***

لكن أيحتمل أن يحقق حلم الهر هتلر أو يكون نصيبه كنصيب نابليون

ان رحى الحرب الدائرة في روسيا الآن تدل على أن أداة الحرب الالمانية لا تزال قوية جداً وأن الألمانيين لا يزالون يواجهون الموت بقيادة زعيمهم بغير وجل وهم كثيرو العدد وقد رأيناهم في بلاد اليونان وكريت يهاجمون أعداءهم صفاً وراء صف فاذا باد الصف الاول حل الصف الثاني محله وهكذا الى أن يحل الاحياء بأعدائهم الذين يواجهونهم أو تفرغ ذخيرتهم فيضطروا الى الفرار

ولكن يلوح للقارىء أن هناك سرّاً خفيّاً وقوة كامنة تحمي الحضارة والاّ فما الذي منع الهر هتلر بعد انهيار فرنسا كدولة مجاورة من أن يواصل قتال بريطانيا بعد معركة دنكرك وضياع العتاد الانجليزي وأسر عشرات ألوف من رجال الجيش البريطاني الباسل وما الذي منعه من

الاغارة على الجزر البريطانية قبل أن تستوفي الدولة البريطانية استعدادها وقبل أن تهب الولايات المتحدة الاميركية لنصرتها بالهمة التي عُجلت بها فيما بعد

ان هذه الفترة التي تلت نهر فرنسا غيرت سير الحرب ومصيرها حتماً فقد شهد الناس طرًّا كيف ان قوة بريطانيا الجوية أخذت تزيد زيادة مطردة بمعونة اميركا حتى صار في طاقة البريطانيين أن يغيروا اغارات ليلية كبيرة مستمرة على المناطق الصناعية في المانيا ويمطروها وابلاً من قنابلهم توشك أن تشل تلك الصناعات

* * *

وهنا يبدو لسان فضل الأسطول البريطاني ورقية سلطانه على البحار فالقنام ليضيق بنا اذا حاولنا احصاء فعال هذا الأسطول الظاهرة والخفية فانه علاوة على حصر المانيا ومنع وصول المواد الاولية ومراد الطعام اليها حال دون حركتها العسكرية في غير البر وأيد ما قاله الاميرال ماهان القائد البحري الاميركي المشهور وهو ان الفوز في الحروب لصاحب السيادة على البحر

* * *

وربما كان تحول المانيا عن القتال في الميدان الغربي الى القتال في الميدان الشرقي من أسطع الأدلة على شعورها بالحيبة التي عرتها بعجزها عن غزو بريطانيا وتحقيق ما وعدها به الهر هتلر

ان الذين يذكرون في بدء الحرب ما قالهُ الهر هتلر عن اعتماده على نفسه ودولته دون سواهما في الحرب يعلمون الآن أنه دعا ايطاليا فيما بعد الى معونته فكانت هذه الدعوة سبباً في ما أصاب الايطاليين في قارة افريقيا وضياع امبراطوريتهم فيها

ثم عمد الهر هتلر الى استمالة فرنسا اليه حتى لقد قال الاميرال درلان أن المانيا لا تستطيع تحقيق النظام الجديد من غير عون فرنسا

وفي الواقع ان الهر هتلر لم يقصد من فرنسا أن تعينهُ على تطبيق قواعد النظام الجديد بل قصد أن تخرج عن قواعد المدنية وتسفهُ بأسطولها وبواخرها وموانئها وقواعدها العسكرية في شمال افريقيا وغربها لمقابل القوة التي برزت للقائه من القارة الاميركية

نعم أن اميركا لم تنزل الى الميدان بعد ولكنها تصنع في ما سوى ذلك كل ما يصنعه المحارب

بقي هناك عنصر آخر يجب التنويه به وهو ان سير الحضارة من أقدم العصور الى هو في اتجاه يناقض الاتجاه الالماني او النازي فقد اتجه البشر تدريجاً الى الخلاص من ربقة الاستعباد والتمتع بالحرية الفردية وحرية المجموع على قاعدة التعاون وليس من المستطاع لمرجع الحضارة التقهقري في سيرها هذا رجل ما يستطاع وقف السير فترة من الزمان تطول أو تقصر بمدى فعل القوى التي تصدمها

***

والذين طالعوا تاريخ بولبون رأوا أنه كثيراً ما تاق الى السلام ليتمتع بثمار انتصاره فكان يضطر الى الحرب رغماً عنه في صون ما أحرز وظل هذا ديدنه حتى سقط بالسيف الذي طالما انتصر به

ويلاحظ ان المانيا لا تفتأ تنتقل من حرب الى حرب فالى نحو شهرين ما كان يخطر لأحد — اذا استثنينا أمثال ونستن تشرتشل من المطلعين — أن الحرب يمكن أن تقع بين المانيا وروسيا وقد عدها الناس صديقين حميمين بينهما اتفاق وميثاق وصلات اقتصادية كادت تستر ما بينهما من خلاف في العقيدة الاجتماعية حتى قيل للناس أن الهر هتلر « لحس » ما دونه في كتابه عن هذه الشيوعية التي عدها خطراً عظيماً على أوربا وسائر العالم

ثم كانت المفاجأة التي أدهشت الناس والتي عقبها قصف المدافع وأزيز الطائرات في جو روسيا الحمراء

وقد يطول زمان الحرب وتعود فتنتقل من الميدان الشرقي الى الميدان الغربي وتعظم الخسارة في الارواح والاموال والسفن التجارية وترهق الشعوب المغلوبة على أمرها ولكن هذا كله سيصبح في خبر كان بعد زمان غير بعيد ويكتب الفوز للحضارة الصحيحة وتكون هذه الحرب بلاياها ورزاياها سبباً للبشر على ما في حضارتهم من خطأ وظلم وما في نظمهم الاجتماعية من فساد يجعل طبقات كثيرة في أعظم الأقطار خصباً مناتجاً لمآسي الفاقة والمرض والضنك في عالم كثير الخير وافر النعم في ظل ما يتبجحون به من حرية وتعاون اوحرية ومساواة واخاء شعاراً ينادون به ولا يعملون بموجبه

ولا تنتهي مشكلة الحرب بوضع أوزارها فقد ظل العالم يعاني عواقب الحرب الماضية حتى لشبت الحرب الحاضرة بل عجز عن تخريج طائفة من أزماتها وحل جانب من عقدها وتبين

لعلاً ان جانباً كبيراً من الوسائل التي توسلت بها الدول الظافرة لاصلاح ما أفسدته الحرب لم يخب بالتزام بعض حسن الأماني التي عقدت به حتى لقد قيل أن الحرب الحاضرة انما هي وليدة الخطأ الذي عقب الحرب الماضية

فلا غرو اذا رأينا أقطاب الشعوب ينظرون من اليوم ويبحثون من الآن في ما تكون عليه الحال بعد الحرب الحاضرة وما يتعين الاضطلاع به لتسيير العالم في طرق النظام والعمل واجتناب الكوارث التي تعقب الخسارة العظيمة التي يمنى بها بفعل القتال والدمار الشامل الذي يزيد زيادة مطردة

أما الألمانيون فدعوا الى هذا النظام الجديد الذي وضعهُ الهر هتلر في كتابه والذي تأباهُ الشعوب الحرة لأنهُ يضعها في مراتب تأبى ان تكون فيها فقد تمتعت بالحرية والكرامة قروناً فلا يسعها ان تنسى هذا كلهُ وبينها من قال انا نؤثر الموت وقوفاً على أقدامنا على الحياة راكعين على ركبنا

يقابل هذا النظام النازي النظام الآخر الذي تدعو اليه الشعوب الحرة وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة ومعهما جمهوريات أميركا الجنوبية وبلدان الدومنيون والهند وهو النظام الذي وافق عليه ممثلو الحلفاء جميعاً ومعهم مندوبو فرنسا الحرة في المؤتمر التاريخي الذي عقد في يوم ١٢ يونيو الماضي في قصر سانت جايمس في لندن

وفي الواقع ان مشكلات السلم قد تكون أعقد من مشكلات الحرب في الحرب توجه القوى في اتجاه واحد لأجل ادراك غرض واحد . أما في السلم بعد الحرب فيواجه المسؤولون مئات وألوفاً من المشكلات لاعادة أداة العالم الى موقفها السابق وتحويلها لتستطيع العمل الذي كفت عنه كذا شهوراً وسنوات

أما كيف يخرج العالم من هذه النار التي تصهره صهراً فشيء لا يستطاع التكهن به الآن ففي بدء الحرب الماضية قال السر ادورد جراي وزير الخارجية البريطانية في ذلك العهد ان الحرب الاوربية سيتلوها نهضة اشتراكية عظيمة فكان ما قال بدليل ما حدث في روسيا وايطاليا — قبل الفاشستية — وفرنسا وبريطانيا — فهل من يتنبأ لنا بما تكون الحال بعد هذه الحرب من الوجهات الاجتماعية